مجلـــة الإيسيسكو

ثقـــافية فصليـــة شـــاملة | العدد 5 - يناير 2026

مركز الشارقة
إشراقة الإيسيسكو على سواحل الخليج العربي

الأدب النسوي: أزمة المصطلح وآفاق التخييل
ملف العدد

الشاعرة مليكة العاصمي
أعتزُّ بألقابي جميعاً

كملا ثُريا
نجمةُ أدبٍ تلألأت في سماء الهند

د. حسين الجزائري
في حوار خاص

السواحيلية
لغة وثيقة الصلة بالإسلام والعربية

قائمة التراث العالمي المعرض للخطر
وجهود الإيسيسكو

هيئة التحرير

المشرف العام
الدكتور سالم بن محمد المالك
المدير العام للإيسيسكو

رئيس التحرير
روضة الحاج

مدير التحرير
د. أنس النعيمي

أعضاء هيئة التحرير
د. محمد العنزي
أ. محمد الشيخي
أ. عادل بوراوي
أ. رنا الأصبحي

الإخراج الفني
مركز الترجمة والنشر

رقم الإيداع القانوني
2025PE0012

www.icesco.org
info@icesco.org

الآراء الواردة في هذه المجلة لا تعبر بالضرورة عن رأي منظمة الإيسيسكو

مجلة الإيسيسكو

ثقافية فصلية شاملة

العدد 05 ◆ يناير 2026

عنوان منظمة الإيسيسكو
شارع الجيش الملكي، حي الرياض
ص.ب. 2275، ر.ب. 10104، الرباط، المملكة المغربية

الموقع الإلكتروني للمنظمة
www.icesco.org

البريد الإلكتروني للمنظمة
Contact@icesco.org

البريد الإلكتروني للمجلة
icesco_magazine@icesco.org

+212-5375-66052

+212-5375-66012/13

د. عرفان عبد الدايم عبد الله

الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا

مصر

اللغة والفكر

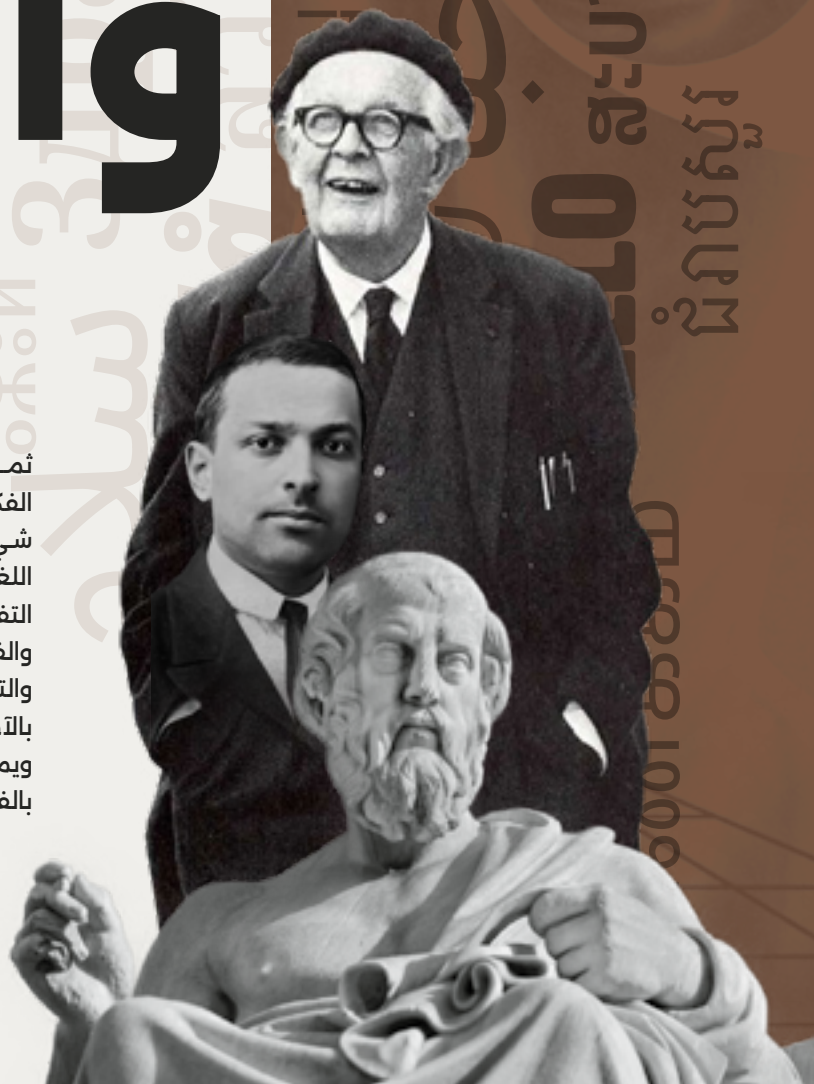

ثمة جدل بين العلماء حول أثر اللغة على الفكر، فذهب بعضهم إلى أن اللغة والفكر شيء واحد. وقال بعضهم بل التفكير يسبق اللغة. وتوسط القولين فريق ثالث، فقالوا: التفكير يسبق اللغة، ولكن اللغة هي أداته؛ والفريق الرابع يقول: العلاقة بين اللغة والتفكير علاقة تبادل؛ إذ يتأثر كل منهما بالآخر. ومعنى هذا أن اللغة مصاحبة للتفكير. ويمكن توضيح آراء العلماء حول علاقة اللغة بالفكر فيما يلي:

الفكـر واللغـة شـيء واحـد: هـذا رأي واطسـون Watson أنـه لا يوجـد فـرق بين اللغـة والفكـر؛ والتفـكير عبـارة عـن تنـاول الكلمـات فـي الذهـن حديثا داخليا ضمنيا دون أصوات «مونولوج»، وأن اللغـة قـد تكـون خارجيـة كلمـات وأصواتـا أو تكـون داخليـة تفكيرا. وتأسست نظرية هومبلوت اللغوية على فكرة أساسية، هي أن اللغة إنما هي عمل العقل، وهي الصوت المنطوق الذي نستطيع به أن نـعبر عـن الفكـرة.

التفـكير يسـبق اللغـة: هـذا مذهـب بياجيـه Jean Piaget، وعلـل مذهبـه بـأن تفـكير الطفـل ينمـو أولا بتفاعلـه مـع البيئـة، ثـم يكـون النمـو اللغـوي تابعـا لذلـك التفاعـل؛ فبينمـا ليسـت ثمـة لغـة دون تفـكير، ثمـة تفـكيرٌ دون لغـة. وهـو يـرى أن الإنسـان البَدَائِـيّ مـارس التفـكير بـدون لغـة، ثـم تعلَّـم اللغـة. بـل يذهـب إلـى أن اللغـة ليسـت ضروريـة للنمـو المعرفـي أو لنمـو الـذكاء فـي المرحلـة الحـس حركيـة، فالأطفـال فـي هـذه المرحلـة لديهـم أفـكار عـن الأشـياء بتفاعلهـم مـع البيئـة، وكذلـك كان لـدى النـاس تفـكير قبـل أن يتعلمـوا نطـق الأسـماء وتحقيـق الارتقـاء اللغـوي. وأيـد فَيجوتسـكي Vygotsky بياجيـه، وفصـل بين التفـكير واللغـة، ويـرى أن تدفـق الأفـكار لا يصاحبهـا ظهـور متزامـن للغـة، ولا يوجـد توافـق بين أجهـزة التفـكير واللغـة. كمـا أيَّـدَ تشومسـكي هـذه الفكـرة، وقـال: «الطفـل يولـد مـزودا ببنـى معرفيـة قبـل ظهـور الكفـاءة اللغويـة» وقـد نجـد مـن الصـم والبكـم دليلا يُعَضِّـدُ هـذا المذهـب؛ إذ يفكـرون ولا يتكلمـون.

أمـا قـول بياجيـه «أن الإنسـان البَدائـيّ مـارس التفـكير بـدون لغـة، ثـم تعلـم اللغـة» فالقـرآن الكريـم والسـنة النبويـة يَكْفِيانِنَـا مؤنـةَ الـرد عليـه؛ إذ علَّـم الله عـز وجـل آدم اللغـة بمجـرد أن نفـخ فيـه الـروح. وأمـا قضيـة أن الطفـل يمـارس التفـكير بـدون لغـة ففيـه نظـر أيضـا؛ لأن العلـم الحديـث يثبـت للحيـوان الآن لغـة، ويتحـدث أيضـا عـن لغـة النباتـات، فكيـف يكـون الإنسـان بـدون لغـة فـي مرحلـة مـن مراحـل عمـره، الصحيـح أن لـه لغـةً مرحليـةً، وهـي الصراخ والبـكاء والبسـمة... وهـذا كلـه يتحـدث عنـه علمـاء النفـس وعلـم اللغـة علـى أنهـا مراحـل الارتقـاء اللغـوي عنـد الطفـل، «والتطـور اللغـوي يبـدأ مـن الميـلاد»؛ فلا يمكـن أن نؤيـد بياجـه فيمـا ذهـب إليـه.

وكذلـك الأمـر مـع الصـم والبكـم؛ فإنهـم وإن كانـوا لا يملكـون الأداء اللغـوي فإننـا لا نستطيع أن نَنْفِي عنهـم الملكةَ (الكفـاءة) اللغويـة، ومـن الأدلـة علـى هـذا القـول أن الصـم والبكـم يجيـدون التعايـش مـع ثقافـة المجتمـع الـذي يعيشـون فيـه. ونجـد منهـم الكثيـر - كذلـك - ينتظـم فـي سـلك التعليـم، ثـم يتعلـم الكتابـة والقـراءة؛ وهـذه لغـة حقيقيـة لا يمكـن نكرانهـا أو التشـكيك فيهـا... ولذلـك تتجـه المؤسسـات العالميـة إلـى رفـض مصطلـح «الصـم والبكـم»، مُكْتَفِينَ بمصطلـح «الصـم أو ضعـاف السـمع».

> **اللغة ليست ضرورية للنمو المعرفي أو لنمو الذكاء في المرحلة الحس حركية، فالأطفال في هذه المرحلة لديهم أفكار عن الأشياء بتفاعلهم مع البيئة**

وأما قـول تشومسـكي: « الطفـل يولـد مـزودا ببنـى معرفيـة»؟! ففيمـا سـبق جـزء مـن الـرد عليـه، ونسـتطيع أن نقـول كذلـك فـي الـرد عليـه «إذا كانـت هنـاك حقـا بنيـة عميقـة كليـة مشـتركة بين كل اللغـات، وجـذور هـذه البنيـة تبـدأ بـولادة الطفـل مـزودا ببنـى معرفيـة قبـل ظهـور الكفـاءة اللغويـة، فـإن تعلـم اللغـة - الأم أو الثانيـة - لـن يكـون أكثـر مـن تعلـم البنيـة السـطحية للغـة، وهـذه البنيـة السـطحية ليسـت إلا أشـكالا أو نمـاذج جديـدة للمعانـي الأسـاس المسـتقرة فـي عقـول النـاس ابتـداءً. لكـن الأمـر يبـدو علـى خلاف ذلـك؛ إذ ليـس بين أيدينـا حتـى الآن مـا يثبـت أن البنـى التحتيـة جميعهـا كليـة، تشـترك فيهـا اللغـات جميعـا، وهـذا الـذي ربمـا يثبتـه العلـم الحديـث، بيـد أنـه لـم يثبـت بعـدُ.

والأقـرب إلـى القبـول حتـى الآن أن المعانـي والأفـكار تُبنـى وفقـا للثقافـة كالبنـى السـطحية تمامـا؛ ولا ينبغـي أن نعـول كثيـرا علـى فكـرة الكليـات اللغويـة؛ لأن البحـث فيهـا بطـيء جـدا، لعلـه يصـل إلـى شـيء فـي المسـتقبل البعيـد، وكل مـا يمكـن أن نقـول بـه الآن «هـو مـا نطلـق عليـه كليـات التعلـم اللغـوي»؛ فنبحـث عـن الخصائـص المشـتركة فـي هـذا التعلـم بين اللغتين الأولـى والثانيـة. ويبـدو أن المتعلمين يطبقـون إسـتراتيجيات متشـابهة فـي الحالتين: اكتسـابا وتعلمـا. وقـد أُجْريـت بعـضُ الدراسـات علـى أطفـال يتكلمـون عشـرين لغـة مختلفـة، ولوحـظ أنهـم يكتسـبون الظواهـر اللغويـة المتشـابهة - فـي اللغـات المختلفـة - فـي مراحـل عمريـة متشـابهة. والبحـث فـي خصائـص التعلـم اللغـوي سـوف يفتـح أمامنـا آفاقـا جديـدة نَفيـد منهـا فـي مجـال تعليـم اللغـات عامـة واللغـات الأجنبيـة خاصـة.

وأما قول فيجوتسكي فقد أكدت نتائج العديد من الأبحاث المعنية بتعليم اللغة وتنمية مهارات التفكير دورَ اللغة في تنمية التفكير، وأن التفكير وثيق الصلة باللغة؛ «إذ يمثل عمليات تجري برموز لغوية، ويتضمن معالجات ذهنية للرموز اللغوية ذات المعنى، ومنتج هذه العمليات أو المعالجات الذهنية هو الفكر الذي يسهم في بناء المعرفة»... وثمة علاقة وثيقة بين التفكير بوصفه عملية وبين الصياغة اللفظية بوصفها نتاجا للفكر؛ سواء أكانت اللغة مكتوبة أم منطوقة. يؤكد تلك العلاقة دور اللغة في التعبير عن الفكر؛ إذ تساعد اللغة على ترجمة الصور الذهنية الغامضة، وصياغتها في كلمات واضحة ودقيقة ومفصلة».

- **التفكير أساس عمليات اللغة:** أكد أرسطو (322 ق. م) أن فئات التفكير تحد فئات اللغة، أي أن التفكير إطار عام أكبر من اللغة، وهو يشملها؛ إذ يستطيع الإنسان أن ينشغل في التفكير في مشكلة رياضية دون استخدام اللغة، وأن الحيوانات تمارس الكثير من العمليات التفكيرية المعقدة دون استخدام اللغة، والمقصود بكلمة «دون استخدام اللغة» الأداء اللغوي، وليس الكفاءة اللغوية؛ لأن أرسطو يقول صراحة: «لا يوجد تفكير بدون رموز لغوية». إذاً؛ فالتفكير يسبق اللغة، ولكن اللغة هي أداة التفكير، وهي طريقة لنقل الأفكار. وأن هناك ارتباطا كبيرا بين نمو اللغة ونمو التفكير؛ إذ المعاني التي تمثلها الكلمات تشكل المادة الخام التي يستخدمها الفرد في عملية التفكير... وقد يقوم الراشد بالتفكير في شيء ما دون مصاحبة اللغة، ولكن لا يمكن أن يستخدم الراشد اللغة دون أن يسبقها أو يصاحبها التفكير.

أثر الكلمة في الفكر

ثمة شعار يقول: «كلما زادَتْ الكلماتُ زادَتْ الأفكارُ».

هذا صحيح بشرط أن يتم بصورة صحيحة، فلو أن أحدا لاحظ تصرفات الطفل واكتشافاته وهو يتعامل مع المحسوسات، ثم راح يحللها له، ويبين له العلاقات مُحَوِّلًا التجربةَ المادية إلى ألفاظ شفهية، ويساعده في القيام بمثل هذا، فإن الكلمة عندئذ سوف تنقله من مستوى الفهم الجزئي إلى مستوى التصورات، ومن مستوى الرموز إلى مستوى الإشارات؛ فبعد أن يتمكن الطفل من تعلم أسماء الأشياء والمفاهيم والتعبير عنها باستخدام الكلمات يلاحظ تأثير اللغة في كيفية إحراز الطفل المعلومات وكيفية تركيبه الأحداث؛ ومعنى هذا أن اللغة لم تعد فقط وسيلة اتصال وإنما أصبحت وسيلة لتشكيل نمط التفكير». لذا عرف أرسطو الإنسان بأنه حيوان ناطق؛ ويعني بالنطق هنا: اللغة والفكر معا؛ لأنه يقول - كما سبق -: لا يوجد تفكير بدون رموز لغوية. «وتعلم اللغة يتضمن تعلم التفكير بهذه اللغة»؛ إذ «اللغة والتفكير أساس واحد لنظام تكاملي... ويفترض بياجيه أن اللغة عامل حاسم في نمو التفكير المنطقي وتطوره».

> **الكلمة هي تصور العقل للواقع الخارجي والداخلي، وهي الوسيلة السامية التي يَكتَسب بها التفكيرُ عمقا ووضوحا واتساعا**

يقول تشيرو رابلسا Ciro Trabalza : «نحن نفكر باللغة التي نعرفها». ويقول لوجي استفانيني Luigi Stefanini: «إن تعليم الطفل التحدث جيدا

ما هو إلا تعليمه التفكير جيدا؛ لأن التفكير في حد ذاته ما هو إلا تعبير وكلمة، ولا يمكن تعليم الطفل أن يفكر أولا لكي يقوم بعد ذلك بمطابقة كلماته مع أفكاره؛ ولكن التفكير ينمو مع اللغة بصورة متوازنة في الحياة، ولهذا فإن اللغة تعطي التفكير انسجاما ووضوحا ولمعانا بقدر ما تأخذ منه هذه الأشياء». «والقدرة اللغوية تحتل مكانة بارزة في التنظيم العقلي للإنسان، وقد تتابعت الدراسات والبحوث لبراون وستيفنسون وكيلي وثرسون وغيرهم في إثبات وجودها، مؤكّدة أن العامل اللغوي من أهم العوامل مسؤولية عن نمو الذكاء بين الأفراد في النشاط العقلي والمعرفي؛ إذ تمد اللغةُ الطفلَ بنظام جاهز من الأفكار والتصنيفات.

وليست أنظمة اللغة وقواعدها مجرد أداة للتعبير عن الأفكار، بل هي في الواقع تكوّن تلك الأفكار وتجردها، وهي جوهر نشاط الفرد الفكري، وهي أداة تحليل الفكر والانطباعات والمشاعر؛ فليس صناعة الأفكار عملية مستقلة عن اللغة... بل هي جزء من قواعد لغوية معينة، وهي تختلف قليلا أو كثيرا بحسب اختلاف القواعد اللغوية. إننا نقسم الطبيعة على هَدْي الخطوط التي ترسمها لنا لغتنا... إن مشاهدتنا الوقائع المحسوسة نفسها لا تقودنا إلى تَكَوُّن الصورة نفسها عن الكون إلا إذا كانت خلفيتنا اللغوية واحدة... وهذا يقود إلى القول إن «اللغة والفكر متماهيان، أي: لا توجد لغة مفهومة بدون فكر، ولا يمكن أن يتبلور فكر بدون اللغة».

إذًا؛ فلغة الكلام تدعم التفكير وتقويه، وهي تستمد من هذا التفكير قوتها واكتمالها؛ فالكلمة - كما هو معروف - مفيدة لوصف الأشخاص والأشياء والمواقف المحيطة؛ كما تساعد على استرجاع حقائق بعيدة في الزمان والمكان، وعلى عرض التنبؤات بالأحداث المستقبلية وتؤدي إلى توضيح المشكلات النظرية والواقعية لإيجاد الحلول لها، ولتحقيق واقعية القرارات المتخذة. والكلمة أيضا هي الوسيلة الأولى لإرسال الفكر واستقباله.

والتفكير يخلق الكلمة، وهي بدورها خالقة له... وليس الكلمة إلا تصور العقل للواقع الخارجي والداخلي، وهي الوسيلة السامية التي يَكتَسب بها التفكيرُ عمقا ووضوحا واتساعا واتساقا؛ ولذا فإن المعرفة بلغة ما تدفع إلى التفكير بطريقة مختلفة. هذا على مستوى الفرد، وأما على مستوى المجتمع فاللغة مرآة الحضارة، تعكس طرائق تفكير الإنسان فيها. وهنا يجب التأكيد على أن اكتساب الطفلِ لغةَ قومه جزء لا يتجزأ من عملية تطبعه الاجتماعي والحضاري؛ لأن اللغة أولا جزء من حضارة المجتمع الذي يعيش فيه الطفل. ولأن اللغة ثانيا وعاء أو واسطة تُنتقل عن طريقها الأوجهُ الأخرى للحضارة كالمفاهيم والعلوم والمهارات والمعتقدات والعادات وكل ما سوى ذلك من جيل إلى جيل. ولأن اللغة ثالثا هي الأداة التي يستخدمها الطفل لاكتشاف العالم من حوله، وبها يقيم دعائم حياته الاجتماعية، ويؤدي دوره في المجتمع الذي يعيش فيه.

وهذا يُبِينُ التكاملُ بين الكلمة والفكر والحياة الاجتماعية والثقافية؛ فالنضج العقلي للطفل يعتمد أولا على قدرته على استخدام الوسيلة الاجتماعية الأولى للتفكير؛ وهي الكلمة». ومن ثم يصبح من الفروض الدينية والحضارية والقومية أن يتعلم الطفل لغة قومه أولًا، وهي التي تشكل ثقافته بل وعقيدته؛ وجل الباحثين في اللغات والتربية يؤكدون أن التعليم بغير اللغة الأم يغلق مفاتيح الفكر ويعيق عملية الإبداع والابتكار.

المراجع

- براون، هـ. جلاوس (1990). أسس تعلم اللغة وتعليمها. ترجمة: عبده الراجحي، محمد شعبان. ط1. بيروت: دار النهضة العربية.
- خرما، نايف، وحجاج، علي (1989). اللغات الأجنبية: تعليمها وتعلمها. عمان: دار الشروق.
- الراجحي، عبده (1998). علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية. ط2. القاهرة: دار الشروق.
- سيني، سيرجو (1998). التربية اللغوية للطفل. ترجمة: فوزي عيسى وعبد الفتاح حسن. ط1. القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.
- الشيخ، سليمان الخضري (1988). الفروق الفردية في الذكاء. الكويت: مكتبة الفلاح.
- الصالح، عبد الرحمن الحاج (1972). مجلة اللسانيات. ج2، ع1. الجزائر.
- الصالح، عبد الرحمن الحاج (1991). بحوث ودراسات في اللسانيات العربية. ط1. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- طاهر، حامد (2004). اللغة والفكر. القاهرة: دار الفكر العربي.
- عبد العال، مصطفى أحمد (2009). تأملات تربوية في تعليم التفكير واللغة. القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع.
- العتوم، عدنان يوسف (2012). علم النفس المعرفي: النظرية والتطبيق. ط3. عمّان: دار المسيرة.
- مدكور، علي، وهريدي، إيمان (2011). تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها. ط1. القاهرة: عالم الكتب.
- النوايسة، عبد الله، والقطاونة، إيمان طه طايع (2014). النمو اللغوي والمعرفي للطفل. عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع.
- Stern, H.H. (1983). Fundamental Concepts of Language Teaching. Oxford: Oxford University Press.